**مقرر / مدخل إلى إضطراب الأوتيزم**

**لطلاب الدبلوم المهنى تخصص أوتيزم**

**أ د / هشام الخولى**

ومن الأسئلة الصعبة التى يواجهها المتخصصون فى الطب النفسى ،وفى علم النفس، والصحة النفسية، والتربية الخاصة هو السؤال الذى يحتاج إلى أولو العلم .

ما هو أو ما هيةالأوتيزم؟

لعل الصعوبة تتبدى فى بداية ،فى تلك التعريفات الفضفاضة، بالإضافة إلى شيوع إستخدامها ،خارج نطاق الصحة النفسية ،والطب النفسى ،فأصبحت كلمة أوتيزم تستخدم على نطاق واسع، تعدى حدوده ،فأصبحنا أمام كم هائل من التعريفات ،تشهدها كل الساحات، العلمية ،وغير العلمية ،من المتخصصين ،وغير المتخصصين ،فى كل بلاد العالم ، بالإضافة إلى كثرة الأعراض ،وتباينها ،وغموض الكثير منها ،وظهور بعضها بشدة فى أوقات، وإختفائها فى أوقات أخرى،وما ترتب على ذلك من تعدد ،وتنوع، وتباين، فى معايير التشخيص، وزيادة الوعى الثقافى ،فالأوتيزم إضطراب قديم قدم البشرية شأنه شأن غيره من الكثير من الإضطرابات والأمراض ،وهنا أجد من الضرورى طرح بعض الأسئلة باحثا عن إجابات .

\*هل الأوتيزم (إضطراب/مرض) منتشر أم أن طرق المسح المتبعة تعطينا رؤية مشوهة أو حقيقية ؟

\*ما هى أسباب إكتشاف الزيادة فى المعدلات ( الأمراض/الإضطرابات عموما) ؟

لا شك أنه مع التقدم العلمى، والتقنى ،أصبح بالإمكان إعداد تقنيات فحص، وتشخيص، أكثر دقة ،وصرامة . وإذا كان نظام الصحة النفسية بكليته ،بما فيه نظام البحث ،والتشخيص ،والعلاج ، يعتمدعلى الدليل التشخيصى ،والذى أرى فيه من وجهة نظرى، أن بعض التعريفات هائمة ،وغير واضحة بشكل دقيق ،حتى وإن كان بغير قصد ،إلا أن ذلك يفسح المجال ولو لبعض الخلط ،ما بين بعض الإضطرابات أو بعض الأمراض.كما أن كثرة التغيرات المتلاحقة فى شتى مجالات الحياة ،المعيشية ،والتعليمية، والثقافية ،والإقتصادية ،والإجتماعية ،والسياسية ،والعسكرية ،وغيرها ،صاحبها ظهورسلوكيات (سوية ولاسوية) ،وأعراض إضافية أخرى ،للعديد من الأمراض والإضطرابات ، وتم الجمع بين بعض الأعراض معا (زملة) لتصنيف ،وتشخيص أمراض ،أو إضطرابات ،بعد أن كان التصنيف، والتشخيص، يعتمد على عدد محدود من الأعراض ،وقد دفع هذا ببعض شركات الأدوية إلى التجارة فى الأمراض، بتصدير بعض الأمراض إلى تجار الأمراض ،حتى وإن كانت النوايا حسنة ،إلا أن هناك بعض الأدوية غير آمنة، ويترتب عليها إضافة أعراض أخرى، إلى أعراض المرض ،أو الإضطراب الرئيسة . أيضا كان لإختلاف الثقافات، دورا فى تحديد المعايير التشخيصية. كل هذا كان من نتيجته، زيادة فى معدلات إستجلاءالأمراض، أو الإضطرابات من ناحية ،وزيادة الإكتشاف فى المعدلات خاصة مع زيادة الوعى الثقافى، وإنتشار الفضائيات، ووسائل الإتصال ،والتواصل، إلى الدرجة التى جعلت من غير المتخصصين متخصصين، سيان بقصد ،أو بغير قصد ،وإن كنت لا أعترف بوجود ما يسمى عفوى أو بغير قصد ، فالحياة فى صميمها تقوم على كل من الحتمية النفسية ،والحتمية العضوية .وبعد أن أصبح الأوتيزم وباءا فى بعض البلدان، لوحظ زيادة فى الأعراض ،والمحكات والمعاييرالتشخيصية ،لدرجة أن التشخيص لدى البعض يتأرجح ما بين الأوتيزم وبين ما يسمونه بسمات الأوتيزم ....إلخ.

\*أيضا كان للوعى الثقافى المتزايد دورا هاما فى التشخيص والعلاج حيث أدى هذا الوعى إلى اللجوء إلى المتخصصين ، وهذا أفضل للعديد من الأسباب، منها التأكد من وجود أو عدم وجود المرض ،أو الإضطراب ، أيضا فى حالة وجوده فلا شك أن التشخيص المبكر يسهم برجة كبيرة فى التحسن المبكر، والسريع ،من خلال العلاج المبكر.

**فمن المواقف الأكثر إحباطاً ،وإيلاماً للنفس، فى دلالتها ،وعمقها أن يعيش الآباء، والمعلمون مع أطفال يعانون من الأوتيزم على مدار فترة زمنية ،لا يعرف مداها، ربما تطول ،وربما تقصر، خاصة وأن طفل الأوتيزم يتميز بالغموض، ولا يعرف بدايته الحقيقية، وأسبابه، وتثار حوله أسئلة عديدة لعل أهمها هو التساؤل ،هل هناك نقطة يمكن أن ينتهى عندها الأوتيزم، وما علاجه؟ ومما يزيد من تعقيد تلك المشكلة لدى البعض هو التباين ،الذى يظهر لدى بعض أطفال الأوتيزم ،بين الأداء الفعلى لهم ،والأداء المتوقع منهم خاصة ،وأن بعض هؤلاء يتمتعون بذكاء خاص فوق المتوسط أو مرتفع (الذكاءات المتعددة) ويطلق على بعضهم مسمى نوابغ فئة الأوتيزم، حيث يستطيع بعضهم القراءة بنصف الوقت الذى نستغرقه نحن ،ومنهم من يقرأ الصفحة اليمنى بالعين اليمنى ،والصفحة اليسرى بالعين اليسرى، ومنهم من يستطيع تذكر ما يقرب من 98% مما يقرأه. وبعضهم ذاكرته ليست عميقة فحسب ، بل رحبة جداً أيضاً، كما أن منهم من يمكنه الحديث عن موضوعات بتفصيلات لا يستطيع العادى الحديث عنها، وإن كان بعضهم يكتفى بتذكر الأشياء دون فهمها....إلخ ، ومنهم من يؤدى الاضطراب به إلى إعاقة أدائه ،فى مختلف مجالات النمو الطبيعى، التفاعل ،والتواصل الاجتماعى، وكذلك يعوق قدرته على القيام بالأنشطة الحياتية المختلفة بشكل فعال ،وإعاقة أدائه الإنفعالى. وما يترتب على ذلك من نمطية العديد من سلوكياته ، والبعد به عن المسار الطبيعى للنمو، والإسراف ،والاستغراق فى التقوقع المستمر داخل الذات ،وبذلك البعد عن التمتع بالصحة النفسية. حيث ينفصل طفل الأوتيزم ،عن مثيرات العالم الخارجى ،نظراً لأنها مثيرات مصاحبة للخوف لديه ،والتمركز داخل العالم الداخلى ،على الرغم من أن العالم الداخلى قد يكون مؤلماً له، حيث يتصف الكثير من أطفال الأوتيزم بقصور ونقص وعجز فى وظيفة تدوين المفاهيم ،وأن هناك انفصال بين تدوين المفاهيم ،والمعلومات، واستخدامها ،أى أن هناك ضعف فى الربط بين الكلمة والمدلول مما يزيد من قوة الذاكرة لدى الكثير منهم.**

**وأطفال الأوتيزم هم أحد الفئات الجديرة بالإهتمام والرعاية من منطلق أساس أخلاقى أولاً، ومن منطلق أساسى عملى ثانياً، فالمنطلق الأخلاقى دافعه أن هناك من ينظر إلى أطفال الأوتيزم نظرة أرسططالية بإعتبارهم إما قمامة أو زهور، ولا شك أن هذه النظرة حتى وإن كانت تقدم لنا حفنة من النهايات السعيدة بأبحاثها إلا أنها تميل بنا إلى الغرق فى الثقوب السوداء. ذلك أن لسان حال طفل الأوتيزم يقول لنا إتعلم عنى قبل أن تتكلم عنى. والتى تتبدى فى النظرة الإنسانية التى تحتم النظر إلى طفل الأوتيزم بإعتباره إنسان أى قيمة لا مجرد شيئ من أشياء الطبيعة كما تدعى النظرة التشيئية (الأرسططالية) التى تقيم فواصل وحواجز بين مختلف جوانب الإنسان من ناحية وبين الإنسان والواقع الذى يعيش فيه من ناحية أخرى .ولاشك أن إرادة كل المهتمين بطفل الأوتيزم تلعب دورا محوريا وركيزة أساسية فى إحراز أى تقدم .**

**فالإرادة الإنسانية أعظم إرادة منحها الله للإنسان الحقيقى فى الحياة ، وحقيقة الإنسان تكمن فى إرادته ، وهى نعم القرين إذا ما صاحب صاحبه، والإرادة هى الجوهر، والجوهر يعبر عن الحالة ،والحالة تخلق هالة أى أعراض وعلامات الجوهر ،وإذا كانت الرغبة مصدر من مصادر تعبئة وإستثمار الطاقة فى الإرادة إلا أن ذلك لايعنى أن كل رغبة يصاحبها إرادة أو كل إرادة يكمن خلفها رغبة ، وهناك رغبات لا تعبئ الطاقة ولا تثتثمر إلا إذا تم إعلائها والتسامى بها،والإرادة دينامية وليست ميكانيكية فدينامية الإرادة تعنى أن لها هدف أو أهداف بينما الميكانيكية تعنى الآلية وغياب الهدف،فالإرادة تقتضى إرادة الحياة وإرادة المعنى فلا إرادة بدون حياة ولاحياة بدون معنى وهكذا يظل الإنسان متأرجا بين إرادة الحياة وإرادة المعنى، ، فالإرادة الإنسانية هى دائما وأبدا تحاول الصعود دائما وأبدا فهى لاتتقيد برغد الحياة وما أنعم الله بها على الإنسان من نعم .**

**أما المنطلق العملى ويكمن فى تلك الفوائد الأكاديمية والوجدانية، والإجتماعية، والمهنية التى يمكن تحقيقها لطفل الأوتيزم حتى وإن كانت الأدلة قليلة أو غير قاطعة ، ذلك أن مبدأ إنسانية طفل الأوتيزم يحتم ضرورة أن تدعم الأنظمة العلمية والثقافية فى كل بلاد العالم فئة الأوتيزم، لأنه من الممكن أن تؤدى أى محاولات للإهتمام بهذه الفئة إلى إحداث تغيرات حتى ولو كانت بسيطة لم تصل إلى حد الدلالة الإحصائية ، فقد أثبتت التجارب أن كثير من أطفال الأوتيزم (النقى) يمكن علاجهم وشفاءهم كما يمكنهم أن يتعلمو ويتطوروا خاصة بعد أن أصبح الحاضرأفضل من الماضى بعد إكتشاف العديد من الأساليب والتقنيات ووسائل التشخيص والتطور الثقافى لغير المتخصصين والمتخصصين التى تساعد كثيرا فى التشخيص والعلاج إلى الدرجة التى أصبح معها التفاؤل قد وصل إلى درجة كبيرة. ولا شك أن هذه المحاولات ذات قيمة كبيرة وعملية خاصة فى مجال تعليم ذوى الاحتياجات الخاصة حيث يؤثر التحسن البسيط على أسلوب حياة طفل الأوتيزم وأسرته، فهى ضرورية لأن يتعلم أطفال الأوتيزم كيفية الخروج من حالة الإسراف فى**

**التقوقع داخل الذات إلى الإنفتاح على العالم الخارجى، والتوحد Identification   
 مع آخرين فى العالم الخارجى أى الإنتقال من التمركز حول الذات إلى التمركز حول الآخر، وزيادة النسيج الإجتماعى بتعلم كيفية المبادرة والإستجابة للتفاعلات بأسلوب ملائم وليس مجرد تحسين التوازن بين المبادرات والإستجابات الناجحة وغير الناجحة. فقد أثبتت العديد من نتائج الدراسات أن الكثير من أطفال الأوتيزم لديهم القدرة على ممارسة وتعميم المهارات التى يتعرضوا لها من خلال البرامج والإستراتيجيات المتنوعة، وبذلك يمكن دحض الأسطورة القائلة بأن المصابين بالاضطرابات النمائية لا يتغيرون.**